

الإيمان والهرطقة في الفكر الأوروبي الشرقي ليو تولستوي أنموذجاً

خالد علي عباس القط

معلم خبير بوزارة التربية والتعليم – جمهورية مصر العربية

أستاذ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

جامعة طيبة – المدينة المنورة – سابقاً

المستخلص

الإيمان والهرطقة في الفكر الأوروبي الشرقي

ليو تولستوي أنموذجاً

حينما تكون الكنيسة الدينية خادمة ومدافعة عن الاضطهاد الديني والاستعماري والاجتماعي، ولعقائد دينية مرفوضة، وتقاليد كنسية صنمية لا تتفق مع التعاليم الدينية الحقّة، حينئذ ينبغي على كل عاقل كشف وفضح عملها، وتخديرها الشعوب، وتلقيها كل الأكاذيب الدينية واللا دينية، والدعوة للتطهر من التشويه الدوجمائي الذي لحق بالمسيحية الحقّة، والبحث عن ملكوت الله الحقيقي في داخلنا بعيداً عن أصنام الكنيسة الدينية.

وذلك من خلال الحديث عن:

مفهوم الإيمان والهرطقة لغة واصطلاحاً، ثم نقد الكتاب المقدس أثناء عصر التنوير والاصلاح الديني في أوروبا.

ثم الحديث عن الدين في المجتمع الروسي الشرقي.

ثم الحديث عن المفكر الروسي الاجتماعي الأخلاقي ليو تولستوي: نشأته وحياته، وموقفه النقدي من الكنيسة الدينية الروسية ومعتقداتها وتعاليمها.

الكلمات المفتاحية :

ليو تولستوي، الإيمان، الهرطقة، نقد، تعاليم، الدين، الكنيسة، الشرقي.

Abstract

Faith and Heresy in Eastern European Thought:

Leo Tolstoy as a Model

When the religious church serves and defends religious, colonial, and social oppression, rejected religious doctrines, and idolatrous church traditions that are inconsistent with true religious teachings, then every rational person must expose and expose the work of the religious church, its drugging of the people, and its indoctrination of all religious

and non-religious lies. They must call for purification from the dogmatic distortion of Christianity and the search for the true Kingdom of God within us, Away from the religious idols of the church .

This will be achieved by discussing:

The concept of faith and heresy, and criticism of the Bible during the Age of Enlightenment and Reformation in Europe.

Then, we will discuss religion in Eastern Russian society.

Then, we will discuss the Russian social and moral thinker Leo Tolstoy: his upbringing and life, and his critical stance toward the Russian religious church and its teachings.

Keywords:

Leo Tolstoy, faith, heresy, criticism, teachings, religion, church, Eastern.

المقدمة

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن ، وكبره تكبيراً . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وبعد .

وقف عدد من مفكري وفلاسفة أوروبا متأملين الكتاب المقدس فهاهم وأفزعهم ما وجدوه من نصوص متناقضة ، وأمور يرفضها العقل الإنساني من صفات لا تليق بذات الله تعالى ، أو صفات تقدر في أنبياء اختارهم الله تعالى ، فأظهروا رفضهم الاعتقاد بوحى الكتاب المقدس بعهديه لما وجدوه من اختلافات وتناقضات ، وانقطاع لسند هذه الأسفار وتلك الأناجيل .

ومن هنا ظهرت في المجتمع الأوروبي بالتزامن مع عصر النهضة والإصلاح الديني والتنوير الفكري مدرستان لنقد الكتاب المقدس ، وهي:

الأولى – مدرسة النقد الأدنى:

وهي مدرسة يعترف أصحابها بوحى الكتاب المقدس، وتهتم بدراسة المخطوطات ومدى تطابقها مع الأصل، وتحديد عمر المخطوطات، وتدرس اللغات القديمة

التي كُتبت بها الأسفار المقدسة ، وأخذوا يدرسون الكتاب المقدس وإجلال وإكبار

مؤكدين أن كل كلمة وردت فيه جاءت بوحي من الروح القدس.

الثانية - مدرسة النقد العالي :

وهي تلك المدرسة التي يضع أصحابها أنفسهم في موضع أعلى من مستوى الكتاب المقدس، وأخذوا ينقدونه باسم العلم والبحث بلا خوف ولا وجل، وسموا أنفسهم بأصحاب النقد العالي ، وهؤلاء يرفضون تقاليد وأقوال الآباء ، وهيمنة الكنيسة على الشعب ، ويصفون كُتّاب الأنجيل بالأتقياء المزورين ، ويحكمون عقولهم في نصوص الكتاب ، وينكرون حقيقة الوحي الإلهي ، ويرون أن الكتاب المقدس بعهديه مؤلف أدبي يحوى مجموعة أساطير ، وأنها أساطير مقتبسة من تراث الشعوب القديمة وملاحمها وليست حقائق ، وأن أحداث الإنجيل أسطورة ألفها آباء الكنيسة في القرن الثاني ، ومن ثم سقطوا في الهرطقة والزندقة والتجديف.^١

أهمية البحث :

الرغبة الحقيقية في كشف جهود وشهادات مفكري الفلاسفة الشرقيين ، وموقفهم التأملي العقلي والنقدي من الكنيسة المسيحية وديانيتها ، متخيرين أحد الفلاسفة الروس الذين قاموا بالتأمل والنقد في العهد الجديد ألا وهو الفيلسوف الأديب الأرثوذكسي والواعظ الأخلاقي ليو تولستوي (١٨٢٨م - ١٩١٠م) ، متخيرين موقفه النقدي للدين المسيحي خاصة : الكنيسة المسيحية الشرقية، ومعتقداتها وتعاليمها الديانة .

منهج البحث :

يعتمد هذا البحث على أهم مناهج البحث العلمي ، حيث :

المنهج الموضوعي : الذي يعرض موقف ليو تولستوي تجاه الكنيسة المسيحية ومعتقدات وأخلاقيات الديانة المسيحية عرضاً موضوعياً وصفيًا .
والمنهج الاستنباطي : والذي يقوم على استنباط الموقف العقدي للفيلسوف الأديب تجاه الديانة المسيحية : كنيستها ومعتقداتها .
والمنهج النقدي : والذي يقوم على نقد ليو تولستوي للديانة المسيحية: كنيستها ومعتقداتها وتعاليمها .

خطة البحث :

يتكون ذلك البحث والذي عنوانه :

الإيمان والهرطقة في الفكر الأوروبي الشرقي

ليو تولستوي أنموذجاً

من : مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة ومصادر للبحث على النحو الآتي :
المقدمة : أشارت بإيجاز إلى : الحديث عن مدارس نقد الكتاب المقدس في أوروبا ، ومناهج البحث المعتمدة في البحث ، وخطته .
المبحث الأول : عنوانه : مفهوم الإيمان والهرطقة : لغة واصطلاحاً
أما المبحث الثاني : فعنوانه : الدين في المجتمع الروسي
والمبحث الثالث : عنوانه : ليو تولستوي : نشأته وحياته
أما المبحث الرابع : فعنوانه : نقد الدين عند ليو تولستوي
والخاتمة : فيها أهم النتائج التي تم التوصل إليها ، وعدد من التوصيات
المرجوة .

أما مراجع البحث : فيها أهم المراجع والمصادر التي تم الرجوع إليها .

المبحث الأول : مفهوم الإيمان والهرطقة : لغة واصطلاحاً

أولاً : مفهوم الإيمان لغة واصطلاحاً

الإيمان لغة : مصدر من الفعل (آمن يؤمن إيماناً) ، فهو مؤمن، وهو مشتق من الأمن .

والإيمان: هو التصديق، والله تعالى المؤمن ؛ لأنه آمن عباده من أن يظلمهم، وأصل آمن آمن بهمزتين لينت الثانية ، والأمن ضدّ الخوف. والإيمان ضدّ الكفر، والإيمان بمعنى التصديق ضدّ التكذيب، يقال: آمن به قوم وكذّب به قوم . وآمن إنما يقال على وجهين: أحدهما: متعدّيًا بنفسه، يقال: آمنته، أي جعلت له الأمن ومنه قيل لله مؤمن. والثاني: غير متعدّ، ومعناه صار ذا أمن. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ (يوسف ١٧) قيل: معناه بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه آمن . والإيمان : هو الثقة وإظهار الخضوع^٢.

الإيمان اصطلاحًا :

يختلف مفهوم الإيمان اصطلاحًا وفق اختلاف وجهات نظر أصحاب الديانات المختلفة:

ففي الإسلام : فإن مفهوم الإيمان شرعا يقصد به : تصديق بالقلب وقول باللسان، وعمل بالأركان ، وأن المشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلّها داخلة في مسمى الإيمان . وأن الإيمان : فرائض وشرائع ، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان^٣.

أما مفهوم الإيمان في الديانة اليهودية :

فهو : الاعتقاد بأن الكتاب المقدس مشتمل على عقيدة شاملة عن الله وأنه يجب العمل بها وأن من يؤمن بلا عمل فلا إيمان له وذلك كما جاء في (سفر أيوب ٢ : ١٧) " الإيمان دون الأعمال مائت " .^٤

أما مفهوم الإيمان في الديانة المسيحية :

فهو : روح ما يرجى من الأشياء وعربون مالا يشاهد منها وإن فعله هو التصديق بما أوحاه الرب أي الثقة بأن ما يرجى لا بد أن يتحقق والاعتناع بأن هناك أشياء لا نراها هي موجودة حقًا وذلك كما جاء في رسالة (بولس إلى العبرانيين ١١ : ١-٢) قائلاً : " أما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا ترى " .^٥

ثانيًا : مفهوم الهرطقة : لغة واصطلاحًا

الهرطقة في المفهوم العام لدى أصحاب جميع الديانات ، يطلق عليها الزندقة ، وهي تغيير في عقيدة أو طقوس أو منظومة معتقدات مستقرة ، وخاصة الدين ، بإدخال معتقدات جديدة عليها أو إنكار أجزاء أساسية منها بما يجعلها بعد التغيير غير متوافقة مع المعتقد المبدئي الذي نشأت فيه هذه الهرطقة.^٦

الهرطقة لغة :

هَرَطَقَ: (اسم) ، وهَرَطَقَ : مصدر هَرَطَقَ

هَرَطَقَ: (في الديانات) : بدعة في الدِّين عند المسيحيين .

و(مصدر هَرَطَقَ) الهَرَطَقَةُ : الإِثْيَانُ بِالْبِدْعِ الْمُخَالَفَةِ لِأُصُولِ الدِّينِ .

هَرَطَقَ: (فعل) ، وهَرَطَقَ الرَّجُلُ : صَارَ هَرَطُوقِيًّا ، أَي مُحْدِثًا لِلْبِدْعِ وَالْخُرَافَاتِ .

هَرَطَقَ الرَّجُلُ : جَعَلَهُ هَرَطُوقِيًّا

هَرَطُوقِيّ: (اسم) ، والجمع : هَرَاطِقَةٌ ، وَرَجُلٌ هَرَطُوقِيٌّ : مُحْدِثٌ لِلْهَرَطَقَةِ.^٧

الهرطقة اصطلاحًا :

الهرطوقي (المهرطق أو الهيراطيقي) هو الإنسان المُبْتَدِع الذي يقول بتعليم يخالف ما كُتِبَ في الكتاب المقدس، كما أنه لا يخضع لتعاليم الكنيسة على

لسان آبائها عبر القرون. ونسميه "صاحب بدعة"، ويحاكمه مجمع كنسي مسكوني أو محلي.

وهي مشتقة من الكلمة اليونانية القديمة "هيراسيس" (وصفتها هيريطقوس)، والإنجليزية "هيرسي" تعني "الاختيار" أو "الانتقاء"، أي انتقاء جانب واحد والتركيز عليه، وتضخيمه ؛ فيصير هرطقة، حتى لو كان صحيحًا في وسط سياقه، ومع الجوانب الأخرى. أو الانتقاء لرأي ما مع تفضيله عن غيره من الآراء.^٨

معنى الهرطقة في الديانة المسيحية :

الهرطقة في المسيحية معناها : التغيير في المعتقدات التي يقوم عليها الدين، عن طريق التغيير، أو عدم الإيمان بجزء منها، أو رفضها رفضًا تامًا، مما يعمل على تهديد استمرار الدين، ويسبب زعزعة إيمان الذين يدينون بالدين.

كما أن كلمة الهرطقة كانت قد تم استخدامها من قبل اليهود في بداية ظهور المسيحية لوصف الأشخاص الذين قاموا باعتناق المسيحية والإيمان بعباسي عليه السلام، فقد كان اليهود يعتبرون المسيحيين في هذا العصر، مجرد جماعة خارجة عن أعراف وتقاليد الدين اليهودي ومعتقداته.^٩

وكانت بدايات الهرطقة في المسيحية في القرن الثالث الميلادي، وكانت الكنائس المسيحية تتخلص من المهرطقين عن طريق حرق جثثهم والتمثيل بها، كما كانت تعمل على حرق جميع الكتب التي يؤلفها الذين يطلق عليهم المهرطقين، كما أنها كانت تقوم باضطهاد أتباعهم حتى لا يتبقى من معتقداتهم أي شيء.

ولقد خاضت الكنيسة الدينية معارك ضارية ضد البدع والهرطقات الدينية التي صدرت من قبل بعض رجال الدين – المنشقين عليها – ورجال الفكر الحر من

المفكرين والفلاسفة والعلماء والأدباء ، وتذكر المصادر المسيحية العديد من هذه الهرطقات ، ولعل من أشهرها :

١- هرطقة في عهد القديس اثناسيوس سنة ٣٥٠ م : حيث كانوا يقولون أن الروح القدس ليس إلهاً كالأب والابن ، وليس من جوهرهما - هو من العدم - مثل الملاك المخلوق ، وكانت هذه بداية الهرطقات وقد عقد لهم القديس أثناسيوس مجمعا .

٢ - هرطقة بطريرك القسطنطينية ” مقدونيوس “: واعتقاده بأن الروح القدس مخلوق ، وهو خادم للسيد المسيح لأقنوم الابن .

٣- هرطقة سابيلْيوس : حيث أنكر وجود الثالوث قائلاً : لا يوجد سوى أقنوم واحد فقط ، و أن الأقانيم الثلاثة هي من فكر البشر ، واعتبر أنه عندما يقوم الله بعمل الأب فهو الأب ، وعندما يقوم الأب بعمل الخلاص فهو الابن ، وعندما يقوم الأب بعمل الارشاد وتعزيد البشر والمؤمنين فهو يقوم بعمل الروح القدس ، ولكن هم الثلاثة فقط أقنوم واحد .

٤ - هرطقة ماني : حيث أنكر (ماني) في القرن الثالث فكر الثالوث والأقانيم بل نادى بأنه هو نفسه ” البارقليط ” - ومنع أكل اللحوم والبيض وأيضاً منع الزواج .

٥ - بدعه أريوس : وملخص بدعته : الانتقاص من ألوهية الرب يسوع ؛ لأنه بذلك جعل الفادي محدوداً أو الفداء ناقصاً .

٦- بدعة نسطور : واعتقاده : أنه فصل بين اللاهوت والانسوت وعدم سكن الله فينا .

٧- هرطقة الغنوصيين : واعتقادهم : أن التأمل العقلاني يُظهر النفس ويخلصها وأن السيد المسيح هو مجرد إنسان حل عليه روح الله العلوى .

٨- هرطقة الدوسينييين : وهم الذين تصوروا أن جسد السيد المسيح غازيًا وخياليًا ، معتقدين أن المادة لا تليق أن تدخل إلى حياة الله .^{١٠}

وفي عصر الاصلاح الديني والتتوير الأوروبي الحر المعاصر ظهرت ما يسمى بحركة نقد الكتاب المقدس باسم العلم والبحث بلا خوف ولا وجل ، وسمى أصحاب هذه الحركة أنفسهم بأصحاب النقد العالي ، وهؤلاء يرفضون تقاليد وأقوال الآباء ، وهيمنة الكنيسة على الشعب ، ويصفون كُتّاب الأناجيل بالأتقياء المزورين ، ويحكمون عقولهم في نصوص الكتاب ، وينكرون حقيقة الوحي الإلهي ، ويرون أن الكتاب المقدس بعهديه مؤلف أدبيّ يحوى مجموعة أساطير ، وأنها أساطير مقتبسة من تراث الشعوب القديمة وملامحها وليست حقائق ، وأن أحداث الإنجيل أسطورة ألفها آباء الكنيسة في القرن الثاني ، ومن ثم سقطوا في الهرطقة ، ولعل من أشهر المنتمين لهذه المدرسة على اختلاف تخصصاتهم الكثير من علماء الفلك والطبيعة والفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس وعلماء علم الإنسان ، وعلماء اللاهوت العقلانيين ، أمثال : كوبر نيكوس ، جاليليو جاليلي ، ديفيد هيوم ، مارتين لوتر ، باروخ سبينوزا ، جان استروك ، فرديناند كريستيان ، ويليام فاكته ، ألبرت سوايزر ، وجراهام سكروجي ، جوهان فون ، ألكسندر كيديس ، جين ليكليرك ، جون هوس، دي ويت ، ألبرشت ألت ، كارل أليجين ، أرازموس ، شوبنهاور ، فولتير ، ريتشارد سيمون ، فلهاوزن ، جون هس ، هولباخ ، أيكنهيد ، برونو ، جيوفري فاليه ، جوهان مايكلز ، دنيس نينهام ، كالفن ، ميشال سيرفيه ، كارلستادت ، شيفلر ، ليسينغ ، جون كنوكس ، راسل ، أودلف هارينك ، إستيفن ميلر، جون فنتون ، وليم نيل ، بسمارك ، فريدريك نيتشه ، إيليا غوتشاكوف ، والقسيس نيكون ، والكاهن

أفاكوم ، وجماعة محاربو الروح وجماعة المتسوطيين ، دانييلو فيليبوف ،
روستوف ، ليو تولستوي... وغيرهم.^{١١}

خلاصة القول : إن الهرطقة آراء دينية مدانة كنسيًا مناقضة للإيمان الكنسي ،
وأن كل هرطقي هو فاقد للإيمان زنديق مجدف مرتد ساقط منشق منفصل عن
الكنيسة .

وعقابه : الحرمان أي اللعنة والطرده والإقصاء الكلي من الاتحاد بالكنيسة أي
الحرمان من : الأسرار المقدسة والقداس الإلهي وصلوات الكنيسة والمنافع
والأعباء الكنسية والدفن خارج أرض مسيحية ، والإعدام الضروري باعتباره
الوسيلة الفعالة من أجل الكنيسة وردع الهرطقات العنيدة والبدع وردعها عن
الاستمرار في إفساد النظام الكنسي ، ودفع الآخرين إلى اقتراف جميع أنواع
الجرائم...!!^{١٢}.

أليست محاكم التفتيش في أوروبا ، ومعسكرات التعذيب الصامتة ، وحصر
جميع الأعمال الإبداعية والحكم عليها بالانهيار والاحتراق ، وانعقاد المجامع
المسكونية الكنسية منذ مجمع نيقية ٣٢٥ م خير دليل على خطورة هذه
الهرطقات على الكنيسة المسيحية ومعتنقي الإيمان المسيحي ، والرغبة الحقيقية
في مجابعتها مجابهة لا هواة فيها ؟!

أليس هذا كله تلك الحقيقة التي لا شك فيها : أنها صراع بين اللاهوت والعلم ،
صراع بين اللاهوتيين والمفكرين الأحرار ؟! ^{١٣}.

المبحث الثاني : الدين في المجتمع الروسي

الحديث عن الدين في المجتمع الروسي السلافي هو الحديث عن مرحلتين -
بإيجاز شديد -عاشها المجتمع الروسي:

فهناك الدين في المجتمع الروسي قبل دخول الديانة المسيحية الغربية عام ٩٨٨م

وهناك الدين في المجتمع الروسي في ظل المسيحية الغربية الأرثوذكسية بدءاً من عام ٩٨٨م

فالدين قبل دخول المسيحية الغربية :

مجموعة من المعتقدات والأساطير الشعبية التي هي نتاج التأثير والتأثر بمعتقدات وفلسفات وأساطير وأخلاقيات الأمم والحضارات المجاورة لروسيا خاصة اليونانية والهند أوروبية القائمة على تعدد الآلهة وعبادة الأصنام والتي تم تناقلها وتوارثها عبر الأجيال شفاهية، إلا أنها اندثرت على مر القرون بشكل أساسي وخاصة بعد اعتناق المجتمع الروسي للديانة المسيحية.

فهناك عددٌ من الآلهة في الأساطير الروسية السلافية مثل : ببيرون وفيليس وسفاتنغيت وشيرنوبوغ وسفاروغ ، وتعد هذه الأسماء جميعها شخصيات قوية مرتبطة بمختلف سمات الوجود الإنساني والطبيعة ، فمن الأساطير الروسية : هناك خشب الحياة (خشب العالم) ، والذي يُصوّر العالم كشجرة مقدسة أو شجرة الحياة - عادةً ما تكون شجرة البلوط - والتي تُمثل، بخضرتها الأبدية أو المتجددة محور الحياة كمحور العالم ، وتسكن الآلهة بقيادة ببيرون في قمة الشجرة وفي جذرها يقف فيليس حاكم العالم السفلي ، وتُمثل الشجرة صلة وصل بالآلهة من جهة، وبالأسلاف من جهة أخرى، وهي مجموعة من الطاقات التي نُلهمنا ونُشفيها وتحميننا، وتُتمّي وعينا وروحانيتنا.

وهناك الصليب المعكوف (الكولوفرات) على الشكل البلوري من الصليب المعكوف، ويرمز الدوران إلى لانهاية ودورية التاريخ والصراع الأبدي بين الخير والشر .

وهناك (لونيك) رمزٌ ترتديه النساء ، ويرتبط هذا الرمز الطاقة الإثنية بالدورة القمرية والدورة الشهرية، ويجلب للمرأة الصحة والخصوبة والحماية من العيون اللافتة والأرواح الشريرة.

وهناك (لادا) إلهة الصيف والحب والجمال و الخصوبة. تقضي الشتاء في "عالم الموتى" حتى الاعتدال الربيعي، ثم تعود إلى "هذا العالم".

وهناك (نجمة لادا) رمز سلافي قديم يُستخدم في الزينة المنزلية، كما كان يُستخدم كحماية من قوى الشر. أطلق عليها اسم نجمة العذراء أو نجمة روسيا. الرمز عبارة عن صورة مُصوّرة لموقد بأربعة ألسنة من اللهب، ترمز إلى الإيمان والعدالة والحرية والشرف. والدائرة التي يُغلق فيها الموقد تشير إلى الشمس.

وهناك(بيرونیکا) إله البيرون، أقوى الآلهة ، ويعد رمزًا للقوة الأرضية.

وهناك (سفارجا) ، والذي يُطلق عليه أيضًا اسم العلي أو الأسمى (ولا يزال الصرب يُطلقون عليه اسم الإله المسيحي حتى يومنا هذا). كان يُمثل رب الآلهة وحاكم نظام الكون.

وكان سفارغا يُمثل ما يُشبه عالم الآلهة والموتى. كما يُذكر أن إيريس جزء من سفارغا، التي تُمثل الجنة أو الحقائق في سفارغا.

وهناك (فيري) حيث عالم النعيم والرخاء وحيث يتمتع الموتى .

وهناك (بيكلو) التي تعني جهنم والعالم السفلي وعالم حرق الأرواح الشريرة .

وهناك (بوغ) والتي تعني الرب المالك للسعادة .

وهناك (بس) رمز الشر والشيطان .

وهناك الموتى الراحلون الأطهار الذين ماتوا موتًا طبيعيًا ، والموتى الأنجاس الذين هلكوا بشكل غير طبيعي .

وهناك العبادات الجنائزية حيث (إحراق الموتى وذبح الخيول حين دفن الأعيان (والاعتقاد بحياة ما بعد القبور ... وغيرها الكثير من الأساطير والمعتقدات

الشعبية الروسية .^{١٤}

أما الدين في المجتمع الروسي في ظل المسيحية الغربية الأرثوذكسية :

فقد اعتنقت روسيا الديانة المسيحية الأرثوذكسية بدءًا من عام ٩٨٨م في عهد أمير كييف (فلاديمير سلافيتش) الملقب بالقدّيس الكبير ، واعتمادها دينًا رسميًا للبلاد ، وفي اليوم التالي لهذا الاعتماد تم تعميده وإصداره مرسومًا يقضي بنبذ الأوثان ، واعتماد طقوس الديانة المسيحية اليونانية الأرثوذكسية الجديدة والتي رأى فيها الأمير يحكم الشعب باسم الرب نفسه ، وأن رجال الكنيسة أوحوا للناس البسطاء أن كل عبد يجب أن يطيع سيده ، وأنهم هددوا العصاة بالعذاب الأليم الدائم ، أما المطيعين فكانت تعدهم بالنعيم الدائم في الجنة ، وأن الانتقاص من الأمير والسادة خطيئة مميتة ، وأن اضطهاد الاقطاعيين للشعب الفقير فهو عمل قانوني عادل .

ثم بعد اعتناق المسيحية بدأ بناء الكنائس والهياكل والأديرة العجيبة في كل مكان مع إرغام الوثنيين اعتناق المسيحية الجديدة بالقوة ، فأصبح هناك صراع بين الوثنية القديمة والقيم المسيحية الجديدة خاصة حينما أنشئت المدارس وترجمت الكتب الدينية الأوروبية إلى اللغة الروسية ، فأصبحت عقائد مثل : التثليث وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس والتجسد والصلب والفداء وألوهية العذراء مريم والخطيئة الموروثة وقيامته المسيح من بين الأموات والأسرار الكنسية وغيرها ، بين مؤيد مؤمن بها وبين معارض رافض كافر بها ، ولقد لعبت الكنيسة الدينية دورا كبيرا في إرساء طغيانها الكنسي المتسلط على معارضيه ومعارضتي العقائد الدينية .^{١٥}

وسرعان ما تحولت الكنيسة الروسية بالتدرج إلى مؤسسة إقطاعية كبيرة وبمساعدة الأمراء الروس استولى رجال الكنيسة على المزيد من الأراضي ذات العدد الكبير من القرى والفلاحين التابعين ، وكان القساوسة يجمعون الأموال من المؤمنين أجرًا على تأديتهم للطقوس الدينية والتعميد والدفن وغير ذلك من الطقوس !!^{١٦}.

وسرعان ما دخل مذهب الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وشمل الشعوب السلافية الكاثوليكية كل من الكروات، والتشيك، والكاشوبيين، والمورافيين، والبولنديين، والسلوفاك والسلوفينيين والصوريين، ويتم تعريفهم من خلال تأثيرهم اللاتيني وتراثهم وارتباطهم بأوروبا الغربية ، وهناك كذلك أقليات كبيرة من البروتستانت واللوثريين خاصةً بين السلاف الغربيين، مثل الشعوب التاريخية البوهيميين والهوسيين ، ودخل الإسلام وانتشر وضم مجتمعات السلاف المسلمين كل من البوشناق، والبوماك (المسلمين البلغار)، والغوراني، والتوريبش (المسلمين المقدونيين)، وغيرهم من المسلمين في يوغوسلافيا السابقة ، ومن ثم أصبحت روسيا ملتقى الكثير من الديانات والمعتقدات والوثنيات والحضارات المختلفة في نسيج اجتماعي واحد متداخل متعدد الديانات والثقافات ، ولكن وقفت الكنيسة الدينية وقفة عدااء ضد كل من سولت له نفسه المساس بمعتقداتها الدينية وسطوتها الغاشمة ، أو التشكيك في قدسيتها وعصمتها أو عصمة وقداسته

البابا والقيصر، فقتلوا المتمردين وأحرقوا كل مؤلف فيه أي تشكيك عقدي ، هذا بالإضافة إلى الاختلافات العقدية الحادثة بين الطوائف المسيحية المختلفة البروتستانتية والكاثوليكية والأرثوذكسية .. وغيرها ، والاعتقاد بأن كل طائفة ترى نفسها أنها هي الدين الحق وغيرها الدين الباطل ، فظهر الاضطهاد الديني في أعنف صوره وقساوته كحركة المثوودين وحركة الفلاحين الثائرة بقيادة إيفان

بولوتنيكوف عام ١٦٠٦م ، وتمرد إيليا غوتشاكوف والقسيس نيكون والكاهن أفاكوم وغيرهم ^{١٧}.

وسرعان ما تحولت روسيا بفضل الصناعات المتقدمة إلى رأسمالية قاسية ضد العاملين بمصانعها حيث استعبادهم واضطهادهم وجميع الحركات العمالية ونفيهم وقتلهم لمعارضتهم قوانين العمل التعسفي ، ومطالبتهم بالحرية والديمقراطية الاشتراكية العادلة.

ومن الناحية الدينية : فكانت العلاقة بين (الحكومة القيصرية) و (الكنيسة الدينية) متأرجحة مضطربة وفقاً للأحداث الاجتماعية والسياسية في البلاد وتأثيرات حركات التنوير الأوروبية خاصة الفرنسية على المجتمع الروسي : ففي الوقت الذي سيطرت وهيمنت فيه (الكنيسة الدينية) على الحياة العامة الروسية ، خافت (الحكومة القيصرية) على هيبتها ؛ فتأمر بإخضاع (الكنائس الدينية) لسلطتها المدنية وإدارة ممتلكاتها وأديرتها بنفسها ، ووضع رجال الدين تحت سيطرة الدولة تماماً .

وفي الوقت الذي تثار الحروب ضد روسيا ، تتكاتف الحكومة مع الكنيسة ؛ من أجل توحيد الجماهير لمحاربة المستعمر الغازي ، فتعود هيمنة الكنائس الدينية مرة أخرى ، إلى أن جاء المرسوم القيصري الصادر عام ١٩١٨م بقطع الحكومة القيصرية رسمياً العلاقة بين (الكنيسة والدولة) وتأميم كل ممتلكاتها ... واستمرار استعمال الكنائس الدينية للعبادة فقط ^{١٨}.

المبحث الثالث : ليو تولستوي : نشأته وحياته

١ - نشأته وحياته :

الكونت ليف نيكولا يافيتش تولستوي (٩ سبتمبر ١٨٢٨م - ٢٠ نوفمبر ١٩١٠م)

من عمالقة الروائيين الروس والفيلسوف والمصلح الاجتماعي وداعية السلام والمفكر الأخلاقي ، والذي يعد من أعمدة الأدب الروسي في القرن التاسع عشر والبعض يعبه من أعظم الروائيين على الإطلاق ، والمعتنق أفكار المقاومة السلمية النابذة للعنف والشر.^{١٩}

كانت عائلة تولستوي من العائلات المعروفة من بين النبلاء الروس القدامى، الذين يعود نسب أجدادهم إلى رجل نبيل أسطوري يُدعى إندريس والذي جاء « من نيميك، من أراضي قيصر» إلى تشيرنيغوف في عام ١٣٥٣ م مع ولديه ليتفينوس (أو ليتفونيس) وزيمونتين (أو زيغمنت) إلى جانب جيش مؤلف من ٣٠٠٠ شخص.

اهتدى إندريس إلى الديانة الأرثوذكسية الشرقية، وغيّر اسمه ليصبح ليونتي، وعلى إثر ذلك، سُمّي أبنائه كونستانتين وفيدور. وكان أندري خاريتو نوفيتش حفيد كونستانتين يُلقب باسم تولستي (تُترجم الكلمة إلى فات: وهي تعني بالعربية: الشخص السمين - بالإنجليزية: fat).^{٢٠}

ولد ليو تولستوي في عام ١٨٢٨م، في مقاطعة تولا والتي تقع على بعد ١٣٠ ميلا جنوب مدينة موسكو. وكان نبيلًا ووالده هو الكونت نيكولاس تولستوي، وأمه الأميرة (ماريا فولكو نسكي) والتي توفيت عندما كان عمره سنتين، وقامت إحدى قريباته تاتيانا بمساعدة والده في تربيته وإخوانه، وقضيا معا حياة سعيدة، ولكن توفي والد تولستوي في صيف عام ١٨٣٧م، فتم وضع أطفاله تحت رعاية حاضن شرعي، وهي الكونتيسة الكسندرا أوستن، وأمضوا السنوات التالية إما في بيتها في موسكو أو في زيارة تاتيانا في ياسنايا بوليانا، ولما

توفيت الكونتيسة عام ١٨٤١م انتقلت حضانة الأطفال إلى شقيقتها بالاجيا يوشكوف.

وفي عام ١٨٤٤ التحق تولستوي بجامعة كازان ليدرس اللغات الشرقية العربية والتركية ؛ بغية أن يلتحق في النهاية بالسلك الدبلوماسي.^{٢١}

ولقد اختار ليو تولستوي هذا الاختصاص لسببين:

الأول : لأنه أراد أن يصبح دبلوماسياً في منطقة الشرق العربي.

والثاني : لأنه مهتم بآداب شعوب الشرق، وعلى الرغم من أن تولستوي كان شغوفا بالقراءة منذ طفولته ، إلا أنه لم يستطع التركيز في دراسته عندما أصبح طالباً، ومع ذلك فقد أنغمس تماماً في الحياة الاجتماعية بالجامعة، وبعد أن فشل في امتحانات السنة الأولى، قرر أن يغير اتجاهه ويدرس القانون، وكانت البداية في ذلك أكثر تبشيراً بالنجاح، ولكن ما إن حل عام ١٨٤٧م، حتى كان تولستوي قد قرر ترك الدراسة دون أن يحصل على شهادته الجامعية، وقد جاء ذلك عقب أن جاءته الأنباء بأن تقسيم أملاك الأسرة قد جعلته يرث إقطاعية ياسنايا بوليانا، وهي إقطاعية كبيرة فيها أكثر من ٣٣٠ عائلة فلاحية.^{٢٢}

وكان تولستوي رجلاً ذا مثل عليا فأحس أن واجبه يحتم عليه العودة إلى إقطاعيته ياسنايا لرعاية أموره هناك ولتحسين أحوال رعيته من الفلاحين، وأعد مذكرات دقيقة عن خطته لتحقيق ذلك، وعن رغبته في الوصول إلى درجة الكمال، عن طريق أداء واجبه وقراءة أكثر ما يمكنه قراءته.^{٢٣}

ولسوء الحظ فإن مثاليته النبيلة وشعوره الشاب بالمسؤولية لم تثبتا أنهما الصفتان المناسبتان للتعامل مع الفلاحين، وبعد مرور صيفين توجه إلى مدينة موسكو، وبعد ذلك إلى سان بطرسبورج حيث عقد العزم على نيل درجة جامعية. ومع

ذلك فمرة أخرى بدأ تولستوي الاستمتاع بالحياة الاجتماعية أكثر من اهتمامه بتحصيله العلمي، وانغمس في لعب القمار وغرق في الديون، ضارباً بتحذيرات مربيته تاتيانا عرض الحائط.^{٢٤}

كان شقيقه نيكولاس الذي كان يخدم في الجيش الروسي بالقوقاز قد عاد إلى بلده ليقضي إجازته، وعندما رجع إلى مقر عمله، قرر تولستوي أن يصاحبه، تاركاً إقطاعيته في رعاية زوج شقيقته ماريا.

وعندما وصل مع شقيقه إلى القوقاز عام ١٨٥١م، ما لبث أن أغرم بمشهد الجبال الجميلة هناك، وبعد تسعة أشهر من سفره انضم إلى الفرقة الروسية القوقازية في القتال ضد قبائل السهول التتارية، وقد سجل جانباً كبيراً من انطباعاته التي كونها خلال تلك الفترة في روايته العالمية (الحرب والسلام) ، وشارك في بعض المعارك ضد جيش الميردين بقيادة الإمام شامل. وفي تلك المرحلة الأولى من حياته ألف ثلاثة كتب وهي (الطفولة) ١٨٥٢م؛ (الصبا) ١٨٥٤م؛ (الشباب) ١٨٥٧م ، واستمر في عمله كجندي حتى عام ١٨٥٥م، حيث اشترك في حرب القرم. ولكنه عاد إلى سان بطرسبورج عام ١٨٥٥م، بعد سقوط (سيباستوبول).^{٢٥}

وبعد تقاعده من الخدمة العسكرية سافر إلى أوروبا الغربية وأعجب بطرق التدريس هناك. ولما عاد لمسقط رأسه بدأ في تطبيق النظريات التربوية التقدمية التي عرفها، وذلك بأن فتح مدرسة خاصة لأبناء المزارعين. وأنشأ مجلة تربوية تدعى ياسنايا .

وفي عام ١٨٥٧م زار سويسرا ثم ذهب إلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا في الفترة من عام ١٨٦٠م حتى نهاية عام ١٨٦١م، وكان مهتماً بإقامة المدارس،

وأصبح معنيًا بوجه خاص بمشكلة تعليم أولئك الذين فاتهم فرصة التعلم في الصغر .

وقد تزوج تولستوي في عام ١٨٦٢م، من الكونتيسة (صوفيا أندريفيا برز)، التي كانت زوجة متفهمة ومحبة لخدمته ، وأفضل رفاق الحياة بالرغم من أنها تصغره بستة عشر عاما. ولقد خلفا ١٣ طفلا مات خمسة منهم في الصغر. وكان زواجه ملاذة لهدوء البال والطمأنينة ؛ لأنه كان يعيده إلى واقع الحياة هربًا من دوامة أفكاره.^{٢٦}

ولقد تعمق تولستوي في القراءات الدينية - عندما بلغ الخمسين عامًا - ، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا، وأراد العودة إلى دين المسيح الحقيقي ، وإيمان المسيحيين الأوائل ، وإنكار كافة المعتقدات الدينية الدخيلة على دين المسيح كإنكاره : التثليث وألوهية المسيح وقيامته من بين الأموات ، والحبل بالرب يسوع ، وألوهية الروح القدس ، والصلب والفداء والأسرار... وغير ذلك من معتقدات دخيلة ، ودعا إلى عقيدة دينية نقية لا دخل فيها لأحد بين الإنسان وخالقه ، عقيدة تعد بالسعادة والحب والحق والإحساس بالجمال والخلود ، ودعا إلى إنكار الكنيسة المسيحية ؛ لأنها لا تمتلك الإيمان الحقيقي فبددت مياه الحياة وذروتها وتركت ينبوعها الخفاق ينضب ويجف ، ودعا للسلام وعدم الاستغلال، وعارض القوة والعنف في شتى صورهما ، فلم تقبل الكنيسة آراء تولستوي التي انتشرت في سرعة كبيرة فكفرتُه وأبعدتُه عنها ، وأعلنت حرمانه من رعايتها عام ١٩٠١م . وأعجب بأرائه عدد كبير من الناس وكانوا يزورونه في مقره بعد أن عاش حياة المزارعين البسطاء تاركًا عائلته الثرية المترفة .^{٢٧}

وفي ٢٠ نوفمبر - تشرين الثاني عام ١٩١٠م، توفي تولستوي في قرية استابو (في محطة القطار) حين هرب من بيته وحياة الترف، وأصيب بالالتهاب

الرئوي في الطريق، وكان قد بلغ من العمر ٨٢ عاما. ودفن في حديقة ضيعة ياسنايا بوليانا. ولم يتم دفنه وفق الطقوس الدينية الأرثوذكسية ؛ لأنه رفض أن يُدفن حسب تعاليم الكنيسة ، أو أن يوضع صليب على قبره ؛ لأنه كان كاشفا لزييف رجال الدين والكنيسة وقتها بعدم مناصرتها للفقراء والوقوف مع القياصرة والظلم.^{٢٨}

٢- أهم مؤلفاته :

كثيرة هي مؤلفات ليو تولستوي والتي تجمع بين الفكر والفلسفة والأدب والحياة والأخلاق والسيرة الذاتية ، ولعل منها :

حكّم النبي محمد " كتاب " / ملكوت الله في داخلكم "كتاب فلسفي" / إنجيل تولستوي / اعترافات تولستوي / مملكة جهنم والخمر / طريق الحياة " النور" / في الدين والعقل والفلسفة / عن الحياة / ماذا علينا أن نفعل / حكايات شعبية / الحرب والسلام "رواية طويلة" / السلطة والحرية / البعث " رواية" / أنا كارنينا " رواية طويلة" / دم وخمر " رواية " / الطفولة والصبا والشباب "سيرة ذاتية طويلة" / كاتيا " رواية اجتماعية نفسية " / السيد والخادم / بدائع الخيال / الحاج مراد "رواية قصيرة" / موت إيفان إيليتش "رواية قصيرة" / الرب يرى الحقيقة لكنه يمهّل " قصة قصيرة " / قوة الظلام "مسرحية" / لحن كريستر/ القوازي " قصص حربية" / قصص سيفاستوبول/ (العمل، والموت، والمرض " قصة قصيرة") / سوناتا الكروتزر. / تقطيع الأخشاب. / ذكريات مسجل البلياردو. / العاصفة الثلجية. / موت إيفان إيليتش " رواية" / السعادة الزوجية/ الفارسان. / الأب سيرغي. / العجوزان. / الناسك/ العائلة الموبوءة / مقطر الكحول / آغيي / العالم الواسع / سلطة الظلام / ثمار التنوير/ الجثة الحية "مسرحية".^{٢٩}

المبحث الرابع : نقد الدين عند ليو تولستوي

الحديث عن نقد تولستوي للدين المسيحي يحتوى ثلاثة محاور متكاملة لا يجوز الفصل بينها ، حيث : بيان موقف تولستوي من الكنيسة المسيحية ، ثم نقده لتعاليم ومعتقدات الديانة المسيحية ، وأخيرًا بيانه للإيمان المزيف المرفوض والإيمان الحقيقي الذي يجب اعتقاده بلا أدنى شك أو ظن .

المحور الأول - موقف تولستوي من الكنيسة المسيحية

وقف تولستوي موقفًا معارضًا مناهضًا للكنيسة المسيحية الروسية الأرثوذكسية وكهنيتها ؛ لأسباب كثيرة ولعل من أهمها - كما يرى تولستوي - ما يلي :

١- أن الكنيسة الدينية أخطأت خطأً عظيمًا حيث اعتبرت كتب العهد القديم كتبًا موحى بها من الله كاعتبارها للإنجيل أو العهد الجديد وهي إنما تعتقد هذا الاعتقاد بالقول فقط دون الفعل ، ومن ثم فقد وقعت فيه اعتقادات مخالفة وأضحت مركزها حرجًا لا يمكن التخلص منه إلا إذا عقلت خطأها وأدركت سقطتها وبناء على ما تقدم فإني أنبذ كتب العهد القديم والكتب المقدسة التي حصرتها الكنيسة في ٢٧ كتابًا، ثم جعلوا ناموس الله المقدس وشريعته الطاهرة في ٤٩ كتاب واعتقدوا أن جميع ما جاء فيها مكتوب بإلهام الله والروح القدس وبذلك هالوا على هذا الحق المفهوم الواضح ركامًا من الحقائق المقدسة التي اعترفوا بأنه موحى بها وأمنوا بما جاء فيها.^{٣٠}

٢- أخطأت الكنيسة خطأً لا يغتفر في اختيارها كتبًا ورفضها كتبًا ورسائل أخرى وحكمت على ما اختارته أنه الصحيح المنزل المحي به من الروح القدس وقد وضعت على هذه الكتب ختم العصمة من الخطأ ، وبذلك حرمت الكنيسة نفسها من تدقيق النظر بتلك الكتب والتعاليم وإيضاح غامضها وشرحها وحذف غير الموافق منها مثل العجائب وأعمال الرسل وأراء بولس الرسول بشأن

الخطيئة والعقاب والثواب وهذيان الرسل في رسائلهم وخرافات يوحنا اللاهوتي في رؤياه.^{٣١}

٣- رجال الكنيسة هم الذين سولت لهم أنفسهم أنهم هم وحدهم مفسرو شريعة الرب ، وهم القابضون على زمامها وبذلوا الوسع لحمل الناس على هذا الاعتقاد بهم حتى أصبحوا هم ملجأ للناس ورؤسائهم ثم أخذوا يتدرجون في العظمة والكبرياء حتى تطرق إليهم الفساد فأصبحوا بعد مدة مبشرين للردائل ، فكرهم الناس ولم يجد هؤلاء الرؤساء سلاحًا يحاربون به الناس سوى القوة والاضطهاد والقتل والحرق والتعذيب على ما لا يوافقهم على تعاليمهم ولا يخضع لسلطانهم.^{٣٢}

٤- الكنيسة لم تكن أبدًا وسيطه بين الله والناس حيث وضعت أوثانًا ميتة بدلاً من الله ، وأنها خبأت تعاليم المسيح الحقيقية عن الناس .^{٣٣}

٥- اعتقاد رجال الكنيسة أن كتبهم مقدسة طاهرة معصومة عن ارتكاب المعاصي والآثام فغدوا بعد ذلك يعلمون الناس تعاليم مطابقة لأهوائهم مضادة لتعليم المسيح الحقيقي.^{٣٤}

٦- الكنيسة المسيحية قامت بتلقين جمهور الشعب الروسي شتى الوسائل الممكنة تلك العقائد البالية والمتخلفة والتي لم يعد لها أي مبرر على الإطلاق في الوقت الراهن ، هذه العقائد لم يعد أحد يؤمن بها الآن مثل : ابن الله والله وكونه ثلاثة أقانيم والعذراء التي ولدت الإله ، ثم عقائد الخبز والخمر اللذان يستحيلان ويتحولان فعلياً إلى جسد ودم الله ويتناولهما المسيحيون ، والأسرار المباركة ، ونزول أحد هذه الآلهة الثلاثة على سطح الأرض من أجل إنقاذ

الجنس البشري ، وقيامته وصعوده إلى السماوات ومجيئه الثاني وعقاب كل من لم يؤمن بهذه العقائد بالعذاب الأبدي الخالد.... وغيرها من معتقدات)^{٣٥}.

٧- قامت الكنيسة المسيحية بتقليد عباده الأصنام وتبجيل الأضرحة المقدسة والأيقونات وجلب الأضحيان لها وتوقع تحقيق الأمنيات منها منذ ولادة الطفل حتى وفاته وكل تعاليم الكنيسة بكفاراتها وأسرارها تنفي تعاليم المسيح الحقيقية^{٣٦}.

٨- حرمت الكنيسة الدينية على أتباعها مطالعة الإنجيل والبحث في قوانينها ، وحرمت عدم تناول البحث في تأليفهم الدينية بدعوى أن ذلك يؤدي بالناس إلى تشويش الذهن واضطرابات الفكر !!^{٣٧}.

٩- رجال الكنيسة المسيحية جعلوا يقتلون ويحرقون ويضطهدون كل من حاول إظهار الحقيقة أو يشنون عليه الوشايات الفاسدة .

١٠- رجال الكنيسة الدينية على ضلال وأن عقائدهم كلها لا تستطيع أن توضح معنى الحياة وأنهم يعيشون على خلاف ما يعلمون ويؤمنون بذلك ولذلك ثبت لي أنهم كانوا يخادعون ذواتهم ، وأن غايتهم في الحياة التمتع بطبيباتها والاستسلام لرغباتها.^{٣٨}

١١- تخطئة الكنيسة الأرثوذكسية الكنائس الأخرى والحكم بأنها هي الحق المبين وغيرها يحكم عليهم بالهرطقة والزندقة ؛ لأنها جاءت مخالفة للإيمان الحقيقي ومن هنا انفصلت الكنائس المسيحية بعضها عن بعض !!^{٣٩}.

١٢- الصلة بين الكنيسة الدينية والحرب والقتال فكانت روسيا باسم المحبة المسيحية يقتلون أخواتهم وإخوانهم في الإنسانية ، ولا يصرحون بأن القتل جريمة كبرى في نظر جميع الأديان ، وهذه كانت كارثة الكوارث .^{٤٠}

١٣- الكنيسة لم توحد بين الناس أبدا فهي كانت سببا في انقسام الناس وكرهيتهم لبعضهم البعض وكانت سبباً لاندلاع الحروب والمعارك العظيمة ومحاكم التفتيش ومذابح (برثلماوس) أحد الرسل المسيح ، حتى أصبحت الشعوب المسيحية ليس لها تصور عن الحياة ولا الأخلاق التي تتدفق مع الإيمان .

١٤- يخدع الكهنة والإكليروس بكل وسيلة ممكنة وإيحاءهم الناس أن المسيحية ليست تعاليم عن مساواة الناس من شأنها أن تدمر كافة النظام الوثني القائم الآن بل إنها على النقيض من ذلك تؤيد النظام الحالي وتدعو للتمييز بين الناس وأنها تعترف بأن كل السلطات هي من عند الله ويجب طاعتها طاعة تامة دون مسائلة ، كما أنهم يخدعون المظلومين على الأرض قائلين لهم إن هذه الأوضاع من عند الله وعليهم تحملوها وعليهم تحملها بوداعة وخنوع دون اعتراض .^{٤١}

وخلاصة القول كما يرى تولستوي:

لكي نفهم المسيحية الحقيقية علينا أولاً أن نرفض المسيحية المزيفة مسيحية الكنيسة ، علينا محبة الله ومعرفة الله ولن نعرفه إلا إذا نفذنا قانون الله .

إن المسيحية الكنسية المحرفة تبعدنا عن تحقيق ملكوت الله ، لكن المسيحية الحقيقية أكثر نقاء تقربنا من تحقيق الملكوت الأبدي .^{٤٢}

المحور الثاني- نقد تولستوي لتعاليم ومعتقدات الديانة المسيحية

لا يختلف موقف تولستوي النقدي المناهض للكنيسة المسيحية عن موقفه تجاه تعاليم ومعتقدات الديانة المسيحية الراض لها أيضا ، فقد طالع تولستوي جميع كتب الكنيسة ودرسها دراسة دقيقة وتيقن بعد ذلك أن تعاليم الكنيسة محصورة في الحقيقة ونفس الأمر مع الأناجيل الأربعة ، وأن كتب العهد القديم لا تقيد مطالعتها للمسيحيين أنفسهم بل تزيد الظلام ظلما وتوقع القارئ في الشك والريبة ؛ لأنها تخالف العهد الجديد مخالفة لا تخفى على كل ذي بصير ، أما رسائل يعقوب ويوحنا فهي تحتوي على تغيير في ايضاح تعاليم المسيح الموجودة في الأناجيل الأربعة وأن رسائل بولس مشحونة بأقوال فارغة وأباطيل كثيرة ، أما كتاب أعمال الرسل وبقية رسائل بولس فليس لها أدنى ارتباط بتعليم الإنجيل.^{٤٣}

ويعتقد تولستوي اعتقادًا لا يداخله شك أن الشروح التي علقها الكنيسة على تعاليم المسيح وشروح الرسل مع الإضافات التي أدخلها عليها أباء الكنيسة في المجامع كلها هذيان وبهتان وكذب محض واختلاق ظاهر .^{٤٤}

ويؤكد تولستوي على أن يسوع المسيح لم يكتب مدة حياته كتابًا لأحد ، بل كان يعلم البسطاء الذين كان يصادفهم في حياته وبعد وفاته بزمان طويل أخذ بعض الناس يذكرون أقواله وجعلوا يتناقلونها وبعد ١٠٠ عام كتبوا ما سمعوا عنه ، وأن ما كتب في هذا الصدد لا يحصى له عدد فقد فقد منه جزء كبير وما بقي كان في غاية الركاقة ومما لا يصح الركون إليه والوثوق بصحته ، ثم إن المسيحيين جمعوا تلك الكتابات واختاروا منها الأنسب لأذواقهم ومآربهم الشخصية !!.

ويؤمن تولستوي إيمانًا لا يداخله أي ظن : أن الأناجيل التي بين أيدينا الآن ما هي إلا ثمرة أنضجها الزمان بواسطة النقل والإملاء واشتغال عقول ألوف من

البشر بها وتلاعب أيدي الكثيرين وليست هي وحي من الروح القدس أوحاه للإنجيليين كما تعتقد الكنيسة ، وأن الأناجيل التي بين أيدينا لعبت بها أيدي التحريف والنقل والزيادة والنقصان ، والأناجيل التي وصلت إلينا في الجيل الرابع كانت مكتوبة بخط سقيم لا ضابط لها يضبط صحتها .^{٤٥}

خلاصة القول :

إن المسيح عليه السلام لم يكتب الإنجيل ، وأن ما بين أيدينا من الأناجيل ليست هي وحي من الروح القدس وإنما أناجيل محرفة مبتكرة من تأليف رجال الكنيسة قاموا بتأليفها لأغراضهم .

وهنا نتساءل : ما الأمور التي لاحظها تولستوي والتي من خلالها قرر عدم الإيمان بالدين المسيحي الكنسي واعتباره ضلالاً كبيراً من بين الارتدادات الكثيرة ؟

الأمر الأول - هو عدم الاعتراف بوصية عدم مقاومة الشر بالعنف وقد رأينا حروب شرسة قتلت آلاف البشر بل هذا المبدأ يعني أنه ليس من حق الشعب الدفاع عن نفسه ضد أعداء الخارج ولا الهجوم عليهم كذلك الأفراد.^{٤٦}

الأمر الثاني - وجود المادة الذي يبشر به الكنائس والقائلة : " إن كافة الحكومات على الأرض قد أقامها الله وباركها وأن كل السلطات القائمة توافق مشيئة الله لهو مبدأ سخيف بقدر ما هو مجدف ... فهذا المبدأ يصور خالقنا بأنه إله محارب وكائن منحاز ومشجع للشر ومقر به " .^{٤٧}

وقد أبطل المسيح عليه السلام هذا القانون الجنائي للعهد القديم وهو عين بعين وسن بسن ويجب على الجميع جميع التابعين أن يدعوا بموجب العهد الجديد إلى العفو عن الأعداء بدلاً من الانتقام منهم في كل الأحوال دون استثناء !!^{٤٨}

الأمر الثالث - وجود سخافات ومعتقدات دينية ضلالية وافتراءات خاصة على مقام الله الواحد الأحد والمسيح عليه السلام .

فمن هذه الاعتقادات :

* اعتقاد الكنيسة أن المسيح ابن الله حقيقي لله !!

هذا الاعتقاد اعتقاده ضلال مبين وافتراء على مقام الله الواحد الصمد المنزه عن الشريك فكثير من آيات الإنجيل تدل على أن جميع الناس هم أبناء الله والمسيح ابن الله ولا فرق بين الجميع فكلهم أبناء الله فلماذا خصت الكنيسة المسيح كونه ابن الله حقيقه ، إن هذا لهو الضلال المبين .^{٤٩}

* كذلك معتقدات الآب والابن والروح القدس ووالده الإله مريم وجميع الأسرار المحيطة بالخبز والخمر وعباده العذراء والقديسين أنها كانت تظل أسراراً مغلقة لا تفسير لها عندي وكانت تحملني على العودة إلى شكوكي القديمة ، والاعتقاد بأنها خرافات باطلة ، كذلك موقعي من الصلوات والمحافظة على السبت والاحتفالات بخدمة سر الشكر والأعياد الاثني عشر وعيد الميلاد وحلول الروح القدس على الخمسين والعماد وشفاعه العذراء وغيرها من المعتقدات ، والعزم أن أكل نفس جسد المسيح ودمه شعرت بأن قلبي يتمزق من أحشائي ؛ لأن هذا الطلب كان عظيمًا جدًا على رجل مثلي فكل هذه العقائد كانت في نظري خرافة مضحكة .^{٥٠}

* وجود سخافات في العهد القديم من قبيل : خلق الضوء قبل الشمس ونشأه الكون منذ ٦٠٠٠ عام ووضع كافة الحيوانات في الفلك وعن كافة الكوارث الأخلاقية التي وصفها مثل: ذبح الأطفال وكافة السكان وحرق كل شيء بأمر الرب ، مع وجود تعاليم دينية سخيفة كثيرة إلا أن واحدة منها لم تصل إلى حد أن يأكل الإنسان خالقه ؟!

ما الذي يمكن أن يكون أكثر هراء من أن تكون والدة الإله مريم أما وعذراء في الوقت نفسه ؟!

وأن تتفتح السماء ونسمع منها صوت يقول: أن المسيح قد صعد إلى السماء ويجلس الآن هناك عن يمين الآب ؟ !

أو أن الله واحد وثلاثة وليس ثلاثة آلهة لكنه واحد مع كونه ثلاثة؟! وكيف نرى الله الشرير والمنقّم قد عافى آدم وعاقب آدم ، ولكي ينتقم ولكي ينقذ هؤلاء البشر أرسل ابنه إلى الأرض عالماً من البداية أن البشر سيقتلونه وأنهم سيلعنون بسبب هذا؟!!

وأن تخلص الناس من خطاياهم يتم عن طريق المعمودية المعمودية البشر في الماء وإيمانهم بأن كل ذلك قد حدث فعلاً ومن لم يؤمن بهذا سيعاقبه الله بالعذاب الشديد ، هذا بالإضافة إلى ما التصق بالعقيدة الأساسية لهذا الدين المسيحي مثل : الإيمان بالرفاة المقدس وبقايا أجساد القديسين التي لم تتحل أبداً . وأيقونة والدة الإله المختلفة والصلوات التوسلية لقديسين مختلفين .

هذا غير تعليم الحتمية والقضاء والقدر .. وكل هذه التعاليم – والتي ابتدعتها رجال الكنيسة في القرن الرابع – سخيفة ولا تؤدي إلى شيء إلا للمتناقضات التي تضر بالعقل والشعور الإنساني ولا يمكن للبشر أن يصدقوها .^{٥١}

الأمر الرابع – لجوء المحرفون من رجال الكنيسة لأساليب كثيرة لتحريف العقيدة المسيحية الصحيحة : حيث يقوم حراسها ببذل كافة جهودهم إلى الأحياء

للجماهير بما يريده حراس العقيدة أنفسهم ويقومون من أجل ذلك بإضعاف نشاط عقول الجماهير فيقومون بثلاثة أمور أساسية من أجل القيام بتحريف هذا الدين :

أولاً - أن هناك جنس من الناس خاص من الممكن أن يصبحوا وسطاء وشفعاء بين الناس والله .

ثانياً - أن هناك معجزات قد حدثت فعلاً تؤكد حقيقة ما يقوله هؤلاء الوسطاء ثالثاً - أن هناك كلمات معينة تقرر شفهيًا أو مكتوبة في كتب معينة تكشف عن إرادة الله ، ولذلك فهي مقدسة ومعصومة لا معارضة لها - مثل : نحن شهود له والروح القدس أيضا - ، ومن هنا يجب على الناس قبولها والاستسلام لها دون أي تفكير ، وهذا الأمر حدث ولا يزال يحدث مع الديانة المسيحية .

إن كافه وسائل تحريف الدين المسيحي الثلاثة : الكهنوت والمعجزات وعصمة الكتابات من الخطأ تم قبولها في المسيحية بقوة غريبة .^{٥٢}

ويرى تولستوي : أنه ينبغي علينا لفهم تعليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه ، هو أن نبحث في تلك التفسيرات والشروح الطويلة الكاذبة التي شوّهت وجه التعليم المسيحي حتى أخفته عن الأبصار تحت طبقة كثيفة من الظلام.^{٥٣} ويؤكد تولستوي على أنه انحصر إيمان الكنيسة الرسولية المقدسة في أن الإنسان بات يؤمن ليس بالله أو بالمسيح كما أوصي إليه ، وإنما يؤمن بما تأمر به الكنيسة المقدسة ، وأن المسيح هو الذي أسس الكنيسة ، ولم يرد الله السماح للبشر بتفسير تعليمه على هواهم ولهذا أنشأ الكنيسة وكل كنيسة ترى أنها الحق وغيرها هراطقة أو منشقون عليها .

ليس ذلك فحسب بل إن فساد ما تعطيه كنيستنا للشعب من عقائد ، وتحققت بعد الدراسة والاستقراء أن ذلك كله خداع بيّن وضلال مبين .^{٥٤}

خلاصة القول :

إن الاعتقاد بالعقيدة المسيحية أنها عقيدة إلهية صادرة من الروح القدس قول بلغ أقصى درجات الكبر والحماسة ؛ لأنه أي كبرياء يتَّصف بها الإنسان أعظم من ادّعائه بأن الله يتكلم بفمه ولسانه؟!

وهل توجد في العالم حماقة أعظم من هذه ؟!

فما هذا الغش والضلال ؟!

ألا يجوز لكل إنسان أن يضع كتابًا دينيًا ثم يدّعي أنه مُنزل من السماء ؛ لأن الله أوحى به له حيث تكلم بفمه ولسانه ؟!

ومن هذا القبيل جميع تأليف المجامع الكنائسية وعقائدها ودستور إيمانها؛ ولذلك دخلت على الكنائس ما يُسمونه بالهرطقات التي زعزعت أركان الدين المسيحي وهدمت معالم حقيقته.^{٥٥}

المحور الثالث - مفهوم الإيمان الحقيقي والإيمان المزيف

من خلال رفض تولستوي للدين المسيحي الكنسي أدرك أن الإيمان به إيمان مزيف كاذب لا يستحق ، إيمان ينكر هذه الحياة الدنيوية من أجل الحياة الأبدية ؛ ذلك لأن الحياة الأبدية موجودة بالفعل في هذه الحياة ، إيمان مزيف يرغب الناس في أن يكافئه الله مقابل أضحياته وصلواته ، أما الإيمان الحقيقي فلا يريد الإنسان سوى شيء واحد : أن يتعلم كيف يرضي الله تعالى .^{٥٦}

ويؤكد تولستوي على حقيقة مهمة ألا وهي : أن إيمان هؤلاء الناس ليس بالإيمان الذي نشدته بل هو شكل من الأشكال التي يلجأ إليها أصحاب الشهوات في الحياة لتبرير ذواتهم تجاه الحياة ، فإن في الوجود إرادة كليّة تدير

كل من فيه من الكائنات وهذه الإرادة الكلية لا عمل لها سوى العناية بحياتها وبحياة الوجود الذي نعيش فيه .^{٥٧}

ويرى تولستوي : أن هذا الإيمان المزيف سبب رئيسي من أسباب شقاء الانسان ، والذي تم على أيدي هؤلاء المعلمين المزيفين الذين علموا الناس أن الله ليس له وجود ، ومن ثم ليس هناك قانون إلهي ، وقد صدّق الناس هذه التعليم المزيفة وفصلوا أنفسهم عن قانون الحياة الحقيقية وعن تحقيقه .

ليس ذلك فحسب بل إن كل تعاستنا أننا ننسى ما يعيش بداخلنا وأننا نبيع أرواحنا لقاء المسرات الجسدية الفانية ، وحتى نرى النور الحقيقي فعلينا أن نصبح نحن أنوارًا حقيقية مضيئة .^{٥٨}

أما الإيمان الحقيقي : فإنه يحتل مكانة مهمة في حياة تولستوي :

فبداية يرى تولستوي : أن الإيمان الحقيقي هو معرفه معاني الحياة الإنسانية معرفة حقّة تحمل الإنسان على محبة الحياة والمحافظة عليها ، فهو وحده قوة الحياة وما الحياة بغير إيمان تكون مستحيلة ، وأن الأجوبة التي يقدمها الإيمان الحقيقي تحتوي على أنقى ينابيع الحكمة البشرية وأنه لا يجوز لي أن أرفضها لمجرد تمرد العقل عليها ، فهي وحدها الكفيلة بحل قضية الحياة .^{٥٩}

ويؤكد تولستوي أن أعظم ما في الإيمان والدين الحقيقي هو إيماني بالله تعالى ، وأنه كلما آمنت بالله أشعر بالحياة ، وكلما أعرضت عن هذا الإيمان أشعر بأنني ميت بالحقيقة ، وأن صوتًا قويًا يصرخ في أعماقي قائلاً : إن ما ننشده هو الكائن الذي لا قوام للحياة بدونه ، فالحياة ومعرفه الله واحد عند التحقيق ، والله هو الحياة ؛ لأن الحياة لا تكون بدون الله ، بمثل هذا آمنت أخيرًا من

أعماق قلبي فشعرت بقوة الحياة الحقيقية ولم يفارقني هذا النور الذي أشرق على حياتي حتى اليوم.^{٦٠}

ويؤمن تولستوي إيمانًا لا يداخله أي شك: أن الإيمان والدين الحقيقي هو الذي يؤسس علاقة الإنسان بالعالم غير المحدود من حوله أو بخالقه ، والأخلاق هي التي ترشد سلوكياتنا في الحياة تتبع من هذه العلاقة .

وهو الذي يتوافق مع العقل ومعرفة الإنسان ويحدد علاقته بالحياة اللانهائية ، وأن الدين يربط حياته بهذه اللانهائية ويرشد الإنسان إلى سلوكياته .^{٦١}

وهو الذي التي تتفق مبادئه الأساسية مع كافة المبادئ الأساسية الغالبة للديانات الأخرى ، وهذه المبادئ شديدة البساطة ومفهومة وغير معقدة تتلخص هذه المبادئ : في أن هناك إلهًا هو أصل كافة المخلوقات ، وأن في الإنسان قبس من الله من الممكن أن يزيد الإنسان هذا الشرارة الإلهية بداخله أو يومه أو يهملها أو يطفئها في حياته .^{٦٢}

وهو الحق الذي تحوم حوله قوة الإدراك لاستجلاء مكنوناته ، أو بتعبير آخر أن الإيمان هو إدراك الوحي الإلهي إدراكًا ترسخ صحته في النفس فيتولد من ذلك الإدراك الإيمان بالله الحقيقي .^{٦٣}

وهو حب الله تعالى وحب كل إنسان وفهم ما يجب أن نفعله في هذه الحياة وما لا نفعله.^{٦٤}

وهو الذي ليس في حاجه إلى معابد ولا زينة ولا إنشاد ولا لتجميع الناس أو معرفة صلوات أو صيام وإنما في أن يحيا الإنساني حياة صالحة في محبه مع الجميع وان يفعل مع كل البشر ما يود فعله دائما .^{٦٥}

ويرى تولستوي أنه لكي نحصل على هذا الإيمان الحقيقي يجب علينا: أن نعرف ذواتنا قبل أن نعرف الله ، فحياة الإنسان ليست في الجسد بل في الروح .^{٦٦}

وأن نكون أنقياء الروح حتى نتعبد لله سبحانه وتعالى ، فننقي أنفسنا فسوف نراه ونوجّه أجسادنا صوب المعبد ، ونحارب الأفكار الشريرة ، ونتأمل في الله بأعيننا الداخلية ؛ فعندما نعرفه نعرف أنفسنا .^{٦٧}

وأن نحيا الحياة الحقيقية حياة الإنسان في فهمه في مبدأ ومنبع الحياة أي الله الأبدي الخالد ، ومن أجل تنفيذ مشيئة الله يضحى الإنسان بخيره الشخصي وبالخير المجتمعي ، فيصبح محرك حياته هو المحبة ، وديانته هي السجود للمبدأ الحق لكل شيء ألا وهو الله الكمال المطلق ، والاتجاه والتحرك نحو هذا الكمال المطلق .^{٦٨}

وأن يدرك الإنسان أن جوهر الديانة الحقيقية هي التي علمها المسيح لنا تعليم حقيقي بسيط واضح كشف لكل البشر موجود في قلب كل إنسان وهو أن نحب الله على أنه الخير الأعلى والحقيقة القصوى ، ونحب القريب كأنفسنا ونعامل الآخرين كما نحب أن يعاملونا .^{٦٩}

وأن يفهم الإنسان أن أعظم خير له أن يفكر فيما يوحد مع ذلك الوجود الروحي الذي يحيا بداخله وبداخل كافة البشر ، وأن نرى كيف نتحد مع الله الخالد .^{٧٠}

وأن يعرف الإنسان أن المعرفة المبنية على العقل وحده أظهرت له أن الحياة لا معنى لها ، وأن المعرفة المبنية على الإيمان الصحيح منحته قوة على إدراك معنى الحياة وحمل أثقالها بفرح وصبر وسرور .^{٧١}

وأنه يجب على الناس تحريرهم من الخداع الذي يسيطر عليهم ؛ حتى يتمكنوا من اعتناق الدين الحقيقي الصحيح والمناسب ، لتطوير علاقه الإنسان بالله لينشأ عن هذه العلاقة ما يرشد الإنسان في سلوكه القويم .^{٧٢}

وأنه يجب على الإنسان بذل الجهد في مجال الوعي ؛ كي يقترب من الكمال فالكمال النهائي هو الله وحده ، أما الإنسان فعليه أن يقترب من هذا الكمال ، وفي هذا الاقتراب معنى حقيقي لحياته الإيمانية والحياتية .^{٧٣}

وأن يدرك الإنسان أن العقل هو الجوهر الروحي للإنسان وكرامة الإنسان في هذا الجوهر الروحي الذي ندعوه أحيانا باسم العقل، وأحيانا أخرى باسم الضمير هذا المصدر الذي يسمو فوق الزمان والمكان يضم بين طياته حقيقة لا شك فيها : أنه يرى الكمال بين طيات اللاكمال ، أنه قهر روحي شامل ونزيه يناقض دائما الجور والأنانية الإنسانية ، ومن هنا يجب علينا أن نثق في عقولنا ، فالإيمان بقوة العقل هو أساس كل إيمان حقيقي ، ومن المستحيل إن نؤمن بالله إن قلنا من شأن هذه الهبة التي نعرف الله عن طريقها ، وأن العقل هو

العطية الكبرى التي يتوجه إليه الوحي فلا يمكن للأخير أن يفهم بمعزل عنه .

٧٤

ويؤكد تولستوي على أنه إذا حصل الإنسان على هذا الإيمان الحقيقي فإنه سيحصل على سعادة لا وصف لها ، حيث : يدرك أن الحرية والعقل والحب داخل ذاته ، وأنه مخلوق إلهي ، ويدرك الله في داخله ؛ فإن الأرواح الخالدة في حاجة إلى شيء خالد ، وأن سعادة الإنسان تكمن في خدمة البشر جميعاً ، وأن هذه الخدمة توحد الإنسان مع الروح الإلهية التي تعيش في داخلنا ، ويأتي ملكوت الله عندما يستبدل الإيمان الكنسي المليء بالمعجزات والأسرار والطقوس بالإيمان العقلي دون معجزات ولا أسرار ولا طقوس ولا شعائر مزيفة .^{٧٥}

من خلال ما سبق ذكره من حديث تولستوي عن الدين المسيحي الكنسي ونقده لمعتقداته وتعاليمه ورفضه رفضاً تاماً باعتباره ديناً كنسياً مزيفاً كذباً ، ورغبته الحقيقية في العودة إلى دين المسيح الحقيقي وتعاليمه ومعتقداته الواضحة السهلة ، فقد نتج عن ذلك كله : اتهام الكنيسة المسيحية لتولستوي بالهرطقة والزندقة وطرده من الكنيسة وحرمانه من عطاياها، فدفن ولم يتم دفنه وفق الطقوس الدينية الأرثوذكسية ؛ لأنه رفض أن يُدفن حسب تعاليم الكنيسة ، أو أن يوضع صليب على قبره ؛ لأنه كان كاشفاً لزييف رجال الدين والكنيسة المسيحية .^{٧٦}

الخاتمة

وبعد فإني قد انتهيتُ بفضل الله تعالى ، وعظيم منته من ذلك البحث ، والذي عنوانه :

الإيمان والهرطقة في الفكر الأوروبي الشرقي : ليو تولستوي أنموذجاً

وواجب أن أُبين أهم النتائج المستفادة منه ، وعددًا من التوصيات المرجوة :

أولاً : أهم النتائج :

- ١- الإيمان : هو الاعتقاد - من المنظور اليهودي والمسيحي - بأن الكتاب المقدس مشتمل على عقيدة شاملة عن الله وكل شيء ولا تخالف عقلاً .
- ٢- الهرطقة : هي ابتداع الإنسان بأقوال وأفعال تعارض وتخالف ما كُتِبَ في الكتاب المقدس ، وتعاليم الكنيسة المسيحية على لسان آبائها عبر القرون .
- ٣- خوض الكنيسة الدينية المسيحية معارك ضارية ضد أصحاب البدع والهرطقات الدينية من قبل بعض رجال الدين - المنشقين عليها - ورجال الفكر الحر من المفكرين والفلاسفة والعلماء قديماً وحديثاً ١.
- ٤- الدين في روسيا قبل دخول المسيحية الغربية: مجموعة من المعتقدات والأساطير الشعبية التي هي نتاج التأثير والتأثر بمعتقدات وفلسفات وأساطير وأخلاقيات الأمم والحضارات المجاورة لروسيا .
- ٥- اعتناق روسيا الديانة المسيحية الأرثوذكسية بدءاً من عام ٩٨٨م في عهد أمير كييف (فلاديمير سلافيتش) الملقب بالقدّيس الكبير .
- ٦- تأثر (ليو تولستوي) بمفكري مدرسة نقد الكتاب المقدس في أوروبا الغربية .
- ٧- تعمق تولستوي في القراءات الدينية - عندما بلغ الخمسين عاماً - ، وقاوم الكنيسة الأرثوذكسية في روسيا ، وأراد العودة إلى دين المسيح الحقيقي ، وإيمان المسيحيين الأوائل ، وإنكار كافة المعتقدات الدينية الدخيلة على دين المسيح عليه السلام .
- ٨- وقف تولستوي موقفاً معارضاً مناهضاً للكنيسة المسيحية الروسية الأرثوذكسية وكهنيتها ؛ واعتبارها هي السبب الأول الرئيس في تحريف الديانة المسيحية الحقّة

٩- اعتقاد تولستوي أن الأنجيل الأربعة ورسائلها وما بها من معتقدات وتعاليم والشرح التي علقتها الكنيسة على تعاليم المسيح وشرح الرسل مع الإضافات التي أدخلها عليها أباء الكنيسة في المجامع كلها هذيان وبهتان وكذب محض واختلاق ظاهر .

١٠- اعتقاد تولستوي أن الإيمان الحقيقي يكون بنبذ ورفض إيمان الكنيسة الدينية المسيحية المزيف والعودة إلى إيمان المسيح وتعاليمه الأولى الواضحة البسيطة لكل الناس .

١١- الدين والإيمان الحقيقي هو الذي به نحيا الحياة الحقيقية حياة الإنسان في فهمه في مبدأ ومنبع الحياة الله الأبدي الخالد ، وتنفيذ مشيئته الله ، وتضحية الإنسان بخيره الشخصي وبالخير المجتمعي ، فيصبح محرك حياته هو المحبة ، وديانته هي السجود للمبدأ الحق لكل شيء ألا وهو الله الكمال المطلق ، والاتجاه والتحرك نحو هذا الكمال المطلق .

ثانيا : أهم التوصيات المرجوة :

١- ضرورة البحث عن أثر التنوير الأوروبي وموقف الكنيسة المسيحية الغربية تجاه مفكري التنوير لديها .

٢- ضرورة البحث عن مدارس نقد الكتاب المقدس في أوروبا من حيث : نشأتها وأهدافها وأبرز علمائها وموقفهم من نقد الكتاب المقدس .

٣- ضرورة البحث عن المفكرين والفلاسفة الأحرار والأدباء والعلماء وموقفهم النقدي للكتاب المقدس بعهديه : القديم والجديد في أوروبا الغربية والشرقية : أسبابه وأهدافه ونتائجه .

وصلى الله على سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه وسلم

هوامش البحث

- ١- يعقوب ، حلمي القمص: مدارس النقد والتشكيك ، مطبعة دير الشهيد مارمينا بمربوط عام ٢٠١٧م ، ص ١٠
- الحوامدة ، أريج : حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا ، عالم الكتب الحديثة الأردن عام ٢٠٢٢م ، ص ١١١، ١١٧ بتصرف شديد
- ٢- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مراجعة أنس الشامي و زكريا أحمد ، ط دار الحديث القاهرة عام ٢٠٠٨م ، (رقم ٢٤٤ أمن) ، ص ٧٤
- ٣- العكبري ، ابن بطة ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، تحقيق رضا معطي ، دار الراية للنشر عام ١٩٩٤م ، ج ١ ص ١٣١ .
- ٤- اسبينوزا ، باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسية ، ترجمة أد/ حسن حنفي، النهضة العربية ١٩٧٩ ص ٣٥٧
- ٥- تاضروس ، مورييس : الإيمان في رسائل القديس بولس / دار التأليف ١٩٧٦ ص ٩
- ٦- ويلتر ، ج : الهرطقة في المسيحية " تاريخ البدع الدينية في المسيحية " ترجمة جمال سالم ، دار التنوير ودار الفارابي بيروت عام ٢٠٠٧م ، ص ١٥
- ٧- الموسوعة العربية الشاملة ، معنى كلمة هرطقة/ انترنت، معنى كلمة هرطقة
- ٨- هولواي ، ريتشارد : مختصر تاريخ الأديان ، ترجمة د/ محاسن عبد القادر ، دار الكتب العلمية عام ٢٠١٨م ، ص ١٠٣ ، الموسوعة العربية الشاملة - انترنت - معنى هرطقة
- ٩- ج ويلتر : الهرطقة في المسيحية ص ١٦
- د عوض ، رمسيس : الهرطقة في الغرب ، سينا للنشر عام ١٩٩٧م ، ص ٧ وما بعدها
- ١٠- موقع الأنبا تكلا هيمانوت ، قاموس المصطلح الكنسية (هرطوقي - مهرطق - الهرطقة)
- الريس ، علي ، الحرب المقدسة ، (دار النشر غير معروفة) ، ص ٩٥ : ٩٧ بتصرف
- د/ سغفان ، كمال ، الصليب سيّفاً وحرّفاً ، ط دار الأمين عام ٢٠٠٠م ، ص ٤٥ وما بعدها
- ويلتر ، ج : الهرطقة في المسيحية ص ٤٨ وما بعدها بتصرف
- ١١- رسل ، برتراند : الدين والعلم ، ترجمة رمسيس عوض ، ط دار الهلال القاهرة عام ١٩٩٦م ص ١٥، ١٨ ، نخبة من علماء اللاهوت : مدارس النقد والتشكيك والرد عليها ، منشورات كنيسة القديس مار مرقس الرسول والبابا بطرس بالإسكندرية ، مكتبة الكتب المسيحية ، (د ت) ، ص ١٢، ٢٧٠ بتصرف ، شازان ، زالمان ، تاريخ نقد العهد القديم ، ترجمة أحمد هويدي ، المجلس الأعلى للثقافة مصر عام ٢٠٠٠م ، ص ٦ ، ٨ بتصرف

- ميغوليفسكي، أس : أسرار الآلهة والديانات ، ترجمة حسان اسحاق ، دار علاء الدين للنشر - سوريا عام ٢٠٠٩م ، ص ٤٨٥ ، ٤٨٦
- ١٢- إيليري، هيلين : الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، ترجمة أد/ سهيل زكار ، دار قتيبة دمشق عام ٢٠٠٥م ، ص ٤٣ ، ٥٢ ، ٧٠ ، الهرطقة في المسيحية ص ٢١ - ٢٧ بتصرف
- ١٣- روزا ، دي : التاريخ الأسود للكنيسة ، ترجمة أسر حطبية ، الدار المصرية للنشر - قبرص عام ٢٠٠١م ، ص ١٠١ ، ١٢٠ ، ٢١٩ ، الجانب المظلم ، ص ٤٣
- د/ عوض ، رمسيس : محاكم التفتيش ، دار الهلال عام ٢٠٠١م ، ص ٧ وما بعدها
- وايت ، أندرو: بين الدين والعلم " تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى " ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مؤسسة هنداي للتعليم والنشر عام ٢٠١٤م ، ص ١٩
- ١٤- ميغوليفسكي : أسرار الآلهة والديانات ، ص ٩٧ وما بعدها بتصرف شديد
- توكاريف، سيرغي : الأديان في تاريخ الشعوب ، ترجمة د/ أحمد فاضل ، طبعة الأهالي دمشق عام ١٩٩٨م ، ص ٢٢٠ وما بعدها بتصرف ، مجمل تاريخ الأدب الروسي ص ٨ الموسوعة العربية - أساطير سلافية - انترنت
- قلفاط ، نخلة : تاريخ روسيا الحديث ، المطبعة اللبنانية بيروت عام ١٨٨٦م ، ج ١ ، ص ١٨ ، ١٩ ، إيفاسون ، نينا : مقالة (الثقافة الروسية) من (موقع أطلس الثقافات - انترنت عام ٢٠٠٧م)
- ١٥- د/ عبد الله ، إيناس سعدي و د/ يحيي ، أسامة ، تاريخ روسيا الديني من الوثنية إلى المسيحية ، آشوربانيبال للكتاب عام ٢٠١٩م ، ص ٥٩ وما بعدها بتصرف شديد
- ١٦ - المرجع السابق ص ٧١
- ١٧- تاريخ روسيا الديني من الوثنية إلى المسيحية ، ص ٩٨ ، ١٠٨ وما بعدها بتصرف
- ١٨- أد/ سعدي ، إيناس: من القيصرية إلى الاشتراكية ، دار آشوربانيبال العراق عام ٢٠١٩م ، ص ٢٩ ، ٣٠
- إيفاسون : مقالة (الثقافة الروسية) عام ٢٠١٧م (من موقع أطلس الثقافات - انترنت)
- ١٩- د/ شرارة ، حياة : تولستوي فنًا، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ٢٠١١م ، ص ١٦٥ وما بعدها بتصرف ، الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، ليو تولستوي ، انترنت ، بتصرف شديد
- ٢٠- قبعين ، سليم : مذهب تولستوي ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٣م ، ص ١٤

- ٢١- سلونيم ، مارك: مجمل تاريخ الأدب الروسي ، ترجمة صفوت عزيز ، دار النشر غير معروفة ، ص ١٤٢ ، أد/ يونس، محمد : تولستوي ، سلسلة أعلام الفكر العالمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام ١٩٨٠م ، ص ٩ ، ١٠ ، بتصرف
- ٢٢- قبعين : مذهب تولستوي ، ص ١٤ ، ١٥ ، بتصرف
- ٢٣ - د/ شرارة ، حياة : تولستوي فنانًا ، ص ١٧١ ، قبعين، سليم : مذهب تولستوي ، ص ١٤
- تولستوي ، حكايات شعبية ، ترجمة صياح الجهم ، دار الفكر اللبناني بيروت عام ١٩٩٩م، ص٦
- ٢٤- أد/ يونس : تولستوي ، ص ١٥
- ٢٥- موزر، تشارلز : تاريخ الأدب الروسي ، ترجمة د شوكت يوسف ، وزارة الثقافة سوريا عام ٢٠١١م ، ج١، ص ٣٤٩ ، لومونوف ، ك : صفحات مجهولة من حياة تولستوي ، ترجمة د / ماجد علاء الدين ، مطابع الصباح لبنان عام ١٩٨٦م ، ص ١٣ وما بعدها بتصرف سليم قبعين : مذهب تولستوي ، ص ١٥ ، أد/ يونس : تولستوي ، ص ١٧
- ٢٦- تسفايج ، ستيفان : بناء العالم ، ترجمة محمد جديد ، دار المدى سوريا عام ٢٠٠م ، ج٢ ، ص ٤٣ ، ٤٤ أد/ يونس : تولستوي ، ص ٢٩
- ٢٧- أكيوف، فلاديمير: مائة عام من الأدب الروسي ، ترجمة أنور إبراهيم ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٧م ، ص ٨٤ ، قبعين : مذهب تولستوي ، ص ٤١ : ٧٩ ، بتصرف
- أد/ يونس: تولستوي ، ص ١١٠ ، لومونوف : صفحات مجهولة من حياة تولستوي، ص ٢٠٠
- زفايج ، ستيفان : تولستوي ، ترجمة فؤاد أيوب ، دار اليقظة العربية - سوريا (د ت) ، ص ١٠٦ ، ١١٧
- ٢٨- قبعين : مذهب تولستوي ، ص ١٧ ، ٧٩
- ٢٩- موزر : تاريخ الأدب الروسي ، ج١، ص ٣٤٧ وما بعدها ، تسفايج : بناء العالم ، ج٢ ، ص ٩١ ، تولستوي ، بدائع الخيال ، ترجمة عبد العزيز أمين ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٤م، ص ١٤ وما بعدها بتصرف ، د/ شرارة : تولستوي فنانًا ، ص ١٦٧
- ٣٠- تولستوي ، مملكة جهنم ، ترجمة سليم قبعين ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٧م ص ١٨ ملكوت الله في داخلكم ترجمة هفال يوسف ، دار معابر للنشر سوريا عام ٢٠١٠م ص ٥٠

- ٣١- إنجيل تولستوي وديانته ترجمة سليم قيعين ، مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٧م ص ٢٠ ، ٢١
- ٣٢- طريق الحياة ، ترجمة يوسف نبيل ، ط الآفاق - القاهرة عام ٢٠١٩م ص ١٥ ، ٣٥٢ ، مملكة جهنم ص ١٧
- ٣٣- تولستوي ، السيد والخادم ، ترجمة صياح الجهم ، منشورات وزارة الثقافة السورية عام ١٩٩٥م ، ص ، ١١٩ ، ١٢٠ ، طريق الحياة ص ٣٤٥
- ٣٤- مملكة جهنم ص ١٨ ، ١٩
- ٣٥- تولستوي ، في الدين والعقل والفلسفة ، ترجمة يوسف نبيل ، ط الآفاق القاهرة عام ٢٠١٨م ، ص ١٧٢ ، إنجيل تولستوي ص ١٩ ، ملكوت الله ص ٦٩
- ٣٦- ملكوت الله في داخلكم ص ٦٩ ٣٧- إنجيل تولستوي وديانته ص ١٩
- ٣٨- اعتراف ، ترجمة أنطونيوس بشير ، دار سؤال للنشر بيروت عام ٢٠١٥م ، ص ٨٥
- ٣٩- اعتراف ص ١١٧ ، ١١٩ ٤٠- اعتراف ص ١٢٢
- جاسم ، حيدر ، تاريخ الفلسفة الروسية ، دار نش غير معروفة ، ص ٩٩
- ٤١- في الدين والعقل والفلسفة ص ١٦٨ ، جاسم ، حيدر ، تاريخ الفلسفة الروسية ، ص ٩٩
- ٤٢- طريق الحياة ، ص ٣٥٠ ، ٣٥٣ ٤٣- إنجيل تولستوي وديانته ص ٢٣
- ٤٤- إنجيل تولستوي وديانته ص ٢٧ ٤٥- إنجيل تولستوي وديانته ص ٣٠
- ٤٦- ملكوت الله في داخلكم ص ١١ ٤٧- ملكوت الله في داخلكم ص ١١
- الريس ، علي ، الحرب المقدسة ، ص ٩٣
- ٤٨- ملكوت الله في داخلكم ص ١٢ ٤٩- إنجيل تولستوي وديانته ص ٢٥
- ٥٠- اعتراف ص ١١٢ ، في الدين والعقل والفلسفة ص ١١٦
- ٥١- في الدين والعقل والفلسفة ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ملكوت الله في داخلكم ص ٧٢
- الريس ، علي ، الحرب المقدسة ، ص ٩٤
- ٥٢- في الدين والعقل والفلسفة ص ١٤١ ، ١٤٤ ، ملكوت الله في داخلكم ص ٥٢
- ٥٣- انجيل تولستوي وديانته ص ٣٢
- ٥٤- إنجيل تولستوي وديانته ص ١٦ ، ملكوت الله في داخلكم ص ٥٣
- لومونوف ، صفحات مجهولة من حياة تولستوي ، ص ٢٠١
- ٥٥- إنجيل تولستوي وديانته ص ٣٣ ٥٦- طريق الحياة ص ٢٤ ، ٣٢
- ٥٧- اعتراف ص ٩٤ ٥٨- طريق الحياة ص ٢٤ ، ٥٢
- ٥٩- اعتراف ص ٨٠ ، ٨٣ ٦٠- اعتراف ص ١٠١

- ٦١- في الدين والعقل والفلسفة ص ٥٤ ، ١٣٥ ٦٢- في الدين والعقل والفلسفة ص ١٧٦
- ٦٣- إنجيل تولستوي وديانته ص ١٩ ٦٤- طريق الحياة ص ٢١
- ٦٥- طريق الحياة ص ٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ ٦٦- طريق الحياة ص ٥٠
- ٦٧- طريق الحياة ص ٥٠٢ ٦٨- ملكوت الله في داخلكم ص ٧٩
- ٦٩- طريق الحياة ص ٣٤٩ ٧٠- طريق الحياة ص ٥٥
- ٧١- اعتراف ص ٧٩ ٧٢- في الدين والعقل والفلسفة ص ١٧٥
- ٧٣- طريق الحياة ص ٣٠٨ ٧٤- طريق الحياة ص ٥٠٥
- ٧٥- طريق الحياة ص ٥٥ ، ٤٦ ، ٦٣ ، ٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٧
- ٧٦- سليم قبعين : مذهب تولستوي ، ص ٤١ : ٧٩ ، ستيفان زفايج : تولستوي ، ص ١١٧

مراجع البحث

- ١- اسبينوزا ، باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسية ، ترجمة أد/ حسن حنفي، النهضة العربية ١٩٧٩ م
- ٢- أكيوموف، فلاديمير: مائة عام من الأدب الروسي ، ترجمة أنور إبراهيم ، مؤسسة هندواي عام ٢٠١٧م
- ٣- إيليربي، هيلين : الجانب المظلم في التاريخ المسيحي ، ترجمة أد/ سهيل زكار ، دار قتيبة دمشق عام ٢٠٠٥م
- ٤- إيفاسون ، نينا : مقالة (الثقافة الروسية) من موقع أطلس الثقافات - انترنت عام ٢٠٠٧م
- ٥- تاضروس ، موريس : الإيمان في رسائل القديس بولس / دار التأليف ١٩٧٦
- ٦- تسفايج ، ستيفان : بناء العالم ، ترجمة محمد جديد ، دار المدى سوريا عام ٢٠٠٠م ، ج ٢
- ٧- توكاريف، سيرغي : الأديان في تاريخ الشعوب ، ترجمة د/ أحمد فاضل ، طبعة الأهالي دمشق عام ١٩٩٨م

٨- تولستوي ، ليو :

مملكة جهنم ، ترجمة سليم قبعين ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٧م
ملكوت الله في داخلكم ، ترجمة هفال يوسف ، دار معابر للنشر - سوريا عام
٢٠١٠م

إنجيل تولستوي وديانته ، ترجمة سليم قبعين ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٧م
طريق الحياة ، ترجمة يوسف نبيل ، ط الآفاق - القاهرة عام ٢٠١٩م
في الدين والعقل والفلسفة ، ترجمة يوسف نبيل ، ط الآفاق - القاهرة عام
٢٠١٨م

اعتراف ، ترجمة أنطونيوس بشير ، دار سؤال للنشر بيروت عام ٢٠١٥م
حكايات شعبية ، ترجمة صياح الجهم ، دار الفكر اللبناني بيروت عام ١٩٩٩
بدائع الخيال ، ترجمة عبد العزيز أمين ، مؤسسة هنداي عام ٢٠١٤م ،
السيد والخادم ، ترجمة صياح الجهم ، منشورات وزارة الثقافة السورية عام
١٩٩٥م ،

٩- الحوامدة ، أريج : حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا ، عالم الكتب
الأردن عام ٢٠٢٢م

١٠- رسل ، برتراند : الدين والعلم ، ترجمة رمسيس عوض ، ط دار الهلال
عام ١٩٩٦م

١١- الرئيس ، علي ، الحرب المقدسة ، (دار النشر غير معروفة)
١٢- روزا ، دي : التاريخ الأسود للكنيسة ، ترجمة أسر حطبية ، الدار
المصرية للنشر - قبرص عام ٢٠٠١م

١٣- زفايج ، ستيفان : تولستوي ، ترجمة فؤاد أيوب ، دار البيضة العربية -
سوريا (د ت)

١٤- أد/ سعدى ، إيناس: من القيصريّة إلى الاشتراكية ، دار أ شوربانينبال
العراق عام ٢٠١٩م

- ١٥- د/ سغفان ، كمال ، الصليب سيفًا وحرًا ، ط دار الأمين عام ٢٠٠٠م
- ١٦- سلونيم ، مارك: مجمل تاريخ الأدب الروسي ، ترجمة صفوت عزيز ، (د ت)
- ١٧- شازان ، زالمان ، تاريخ نقد العهد القديم ، ترجمة أحمد هويدي ، المجلس الأعلى للثقافة مصر عام ٢٠٠٠م
- ١٨- د/ شرارة ، حياة : تولستوي فنانًا، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ٢٠١١م ،
- ١٩- د/ عبد الله ، إيناس سعدي - د/ يحيي ، أسامة ، تاريخ روسيا الديني من الوثنية إلى المسيحية ، آشوربانيبال للكتاب عام ٢٠١٩م
- ٢٠- العكبري ، ابن بطة ، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، تحقيق رضا معطي ، دار الزاوية للنشر عام ١٩٩٤م ، ج ١
- ٢١- د /عوض ، رمسيس :
- الهرطقة في الغرب ، سينا للنشر عام ١٩٩٧م - محاكم التفتيش ، دار الهلال عام ٢٠٠١م
- ٢٢- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد بن يعقوب ، القاموس المحيط ، مراجعة أنس الشامي و زكريا أحمد ، ط دار الحديث القاهرة عام ٢٠٠٨م، (رقم ٢٤٤ أمن) ،
- ٢٣- قبعين ، سليم : مذهب تولستوي ، مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٣ م
- ٢٤- قلفاط ، نخلة : تاريخ روسيا الحديث ،المطبعة اللبنانية بيروت عام ١٨٨٦م ، ج ١
- ٢٥- لومونوف ، ك : صفحات مجهولة من حياة تولستوي ، ترجمة د / ماجد علاء الدين ، مطابع الصباح لبنان عام ١٩٨٦م
- ٢٦- الموسوعة العربية الشاملة ، معنى كلمة هرطقة/ انترنت، معنى كلمة هرطقة

- ٢٧- موزر، تشارلز : تاريخ الأدب الروسي ، ترجمة د شوكت يوسف ، وزارة الثقافة سوريا عام ٢٠١١م ، ج ١
- ٢٨- موقع الأنبا تكلا هيمانوت ، قاموس المصطلح الكنسية (هرطوقي - مهرطق - الهرطقة)
- ٢٩- ميغوليفسكي، أس : أسرار الآلهة والديانات، ت حسان اسحاق ، دار علاء الدين للنشر - سوريا عام ٢٠٠٩م
- ٣٠- الموسوعة العربية - أساطير سلافية - انترنت
- ٣١- الموسوعة الحرة ، ويكيبيديا ، ليو تولستوي ، انترنت
- ٣٢- نخبة من علماء اللاهوت : مدارس النقد والتشكيك والرد عليها ، منشورات كنيسة القديس مار مرقس الرسول والبابا بطرس بالإسكندرية ، مكتبة الكتب المسيحية، (د ت)
- ٣٣- هولواي ، ريتشارد : مختصر تاريخ الأديان ، ترجمة د/ محاسن عبد القادر ، دار الكتب العلمية عام ٢٠١٨م
- ٣٤- وايت ، أندرو: بين الدين والعلم " تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى " ، ترجمة إسماعيل مظهر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والنشر عام ٢٠١٤م
- ٣٥- ويلتر ، ج : الهرطقة في المسيحية " تاريخ البدع الدينية في المسيحية " ترجمة جمال سالم ، دار التنوير ودار الفارابي بيروت عام ٢٠٠٧م ،
- ٣٦- يعقوب ، حلمي القمص: مدارس النقد والتشكيك، دير الشهيد مارمينا بمريوط عام ٢٠١٧م
- ٣٧- أد/ يونس، محمد : تولستوي ، المؤسسة العربية للدراسات ، والنشر عام ١٩٨٠م